ملامح نحو النّص في تفسير الرّاغب الأصفهاني

Dr.AHMED ABDULLAH DHAHIR

أ.م. د. أحمد عبد الله ظاهر
جامعة واسط- كلية الاداب
athaher@uowasit.ed.iq

ملخص:

كان الرّاغب الأصفهاني عالمًا لغويّا مفسرًا للقرآن الكريم ، وقد ترك لنا إرثًا لغويًا تزخر به المكتبة العربيّة إلى يومنا هذا ، وكانت أحكامه التفسيريّة تتجاوز نحو الجملة إلى نحو النّص ؛ لأنّه كان ينظر إلى السّياق القرآني أنّه وحدة متماسكة على مستوى السورة القرآنيّة تارة ، وعلى مستوى القرآن الكريم تارة أخرى ، فهو يرى أنّ الجمل والتّراكيب القرآنيّة مرتبطة بعضها مع بعض ؛ لتحقق الغرض المقصود .

Dr.AHMED ABDULLAH DHAHIR
athaher@uowasit.ed.iq

Abstract

Al-Raghib Alasfahani is a linguist and Holy Qur'an's Interpreter. He left a great linguistic heritage at the Arabic library till the current day. His interpreting provisions exceeds from the sentence Grammar to the text Grammar due to his vision to the Qur'an context as a cohesion unit on the level of Sura from one side, and the Holy Qur'an from the other side. The Researcher sees that Sentences and Structures are related with each other to achieve the goal.

مدخل :

يبدو للمتتبع في تراث الرّاغب أنّه اهتدى إلى كثير من أحكام النّص وقوانينه ومعاييره التي أثبتتها الدّراسات اللسانيّة الحديثة إلا أنّ انعدام المصطلح لا يعني انعدام المفهوم[١] ، لكن تفسيره للقرآن لم يصل إلينا كاملًا ، إذ وصلنا التفسير من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة فقط مع مقدمة عن التفسير ، وهذا التفسير مرّ بثلاث مراحل ، ففي المرحلة الأولى حُقِّق تفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة مع مقدمته للتفسير في رسالة دكتوراه للباحث محمد عبد العزيز بسيوني في جزء واحد ، وفي المرحلة الثانيّة حُقق التفسير من سورة آل عمران إلى الآية (١١٣) من سورة النساء في رسالة دكتوراه للباحث عادل بن علي الشديدي في جزأين ، وفي المرحلة الثالثة حُقِّق في التفسير من الآية (١١٤) من سورة النساء إلى نهاية سورة المائدة للباحثة هند بنت محمد بن زاهد في رسالة ماجستير في جزأين أيضا . ولبيان ملامح نحو النّص في تفسير الرّاغب لابدّ من الوقوف على مفهوم النص ، والعلاقة بين النّص والسّياق ، ثمّ بيان دلالة نحو النّص ؛ ليتضح ملامح الدّراسة النصيّة في تفسيره.

مفهوم النّص

النص في اللغة مأخوذ من نصصت الحديث إلى فلان ، إذا رفعته إليه[٢] . أمّا في الاصطلاح فإنّ "مصطلح النّص بمعناه العربي لا يختلف كثيرًا عن الدّلالات التي تنطوي عليها مادة (Text) التي تحمل معنى البناء والنسج والسّياق ، وهي دلالات حركيّة ديناميكيّة لا تنفي الدّلالة التوقيفيّة للشيء ؛ ولذلك حينما نقول نص القرآن ، أو نصّت السنّة ، أي قالت بظاهر العبارة ، وحينما نقول نص القانون فيعني ذلك جمله وفقراته البيّنة ، وحينما نقول النّص الأدبي ، فيعني ذلك كلّ ما هو ثابت بعد قوله التّلفظ به ، أو تدوينه"[٣]. والنّص "يمكن أن يكون منطوقًا ، أو مكتوبًا ، نثرًا ، أو

شعرًا ، حوارًا ، أو مونولوجًا ، بمعنى يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتّى مسرحيّة بأكملها ، من نداء استغاثة حتّى مجموع المناقشة الحاصلة طول يوم كامل في لقاء هيئة معينة[٤] ، والنص : هو الوسيلة اللغويّة لنقل الأفكار ؛ ولتحقيق التّواصل بين المنشئ ، والمتلقي[٥] ، أو هو : انتاج مباشر لعملية الكلام ، ويتشكل في جملته من الدّوال والمدلولات[٦] ، أو هو: "رسالة ناجمة عن نظام محدد من المفاهيم والشّفرات ، و هو وحدة لغويّة مستقلة"[٧] .

العلاقة بين النّص والسّياق

إنّ اللغة هي جزء من نشاط تواصلي ـ اجتماعي ، ومن ثمّ فإنّ معرفة السّياق الذي تستخدم فيه اللغة يوضح المعنى الوظيفي لها ، ويفرض عليها قيمة حضوريّة معينة ، وتبدو أهمية السّياق في الكشف عن عملية انتاج النّص ، وتلعب دورًا مهمّا في عملية فهم النص وتفسيره ؛ ولشدة الاتصال بين النّص والسّياق لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، ومن سمات النّصيّة أنّها تسمح للخطاب أن يتماسك ليس فقط بين أجزائه بعضها مع بعض ، ولكن يتماسك مع سياق الموقف الخاص به[٨] .

ويأتي دور السّياق عندما يعالج محلل الخطاب المادة اللغويّة بوصفها لغة تواصليّة لتحديد عملية الفهم عن طريق التّفاعل بين النّص والسّياق ، وهناك أدوات لغويّة تتطلب معلومات عن السّياق أكثر من غيرها لتيسير الفهم للمتلقي ، وهي الأدوات الإشاريّة مثل : هنا ، الآن ، أنا ، أنت ، هذا ، ذلك ...وغيرها[٩] .

نحو النّص

إنّ نحو النّص : هو الدراسة المهتمة بكلّ ما يتعلق بالنّصوص تنظيرًا ، وتحليلًا ، وتطبيقًا ، وعلاقة النّصوص فيما بينها[١٠] ، أو هو : ما يعنى بتقديم تفسير ورؤية أكثر إقناعًا ممّا هي عليه في الأنحاء التّقليديّة (نحو الجملة) ؛ إذ يهتم بما هو أكثر عمومية وشموليّة فيما يرتبط بالأشكال التي يتيحها النّص[١١]. وهو يختلف

عن النحو التقليدي أو نحو الجملة ؛ لأنّ نحو الجملة هو : النّحو التّركيبيّ الوظيفي وهو المنظم الدّقيق للعلاقات بين الكلمات داخل الجمل[١٢] ، أو هو: الدّراسة المهتمة بالجملة ، والعلاقات بين عناصرها فقط[١٣] ، إلا أنّ "نحو النّص كان يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل ، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلاليّة ، ومنطقيّة إلى جوار القواعد التركيبيّة ، ويحاول أن يُقدّم صياغات كلية دقيقة للأبنية النّصيّة وقواعد ترابطها" .

ويرى اللغوي الألماني روك أنّ اللسانيات النصيّة لا يمكن أن تُعدّ مكملًا للأوصاف اللغويّة التي اعتادت أن تقف عند الجملة بكونها أكبر حدّ للتحليل بل تحاول أن تُعيد تأسيس الدّراسة اللسانيّة على قاعدة أخرى من النّص لا غير[١٤] .

وقد سعت الدّراسات اللسانيّة الحديثة إلى دراسة البنية الكبرى للتراكيب اللغويّة (النّص) لتتجاوز البنية اللغويّة الصغرى (الجملة) ، إذ أصبح النص في دراسات اللسانيين يبحث عن فضاءات أرحب وأوسع في نصوص اللعة متجاوزًا بذلك حدود الجملة التي كرّس النحو التقليدي جلّ اهتمامه بها[١٥] .

وقد وجد اللغويون المحدثون أنّ الجملة لم تعد كافية للعديد من مسائل الوصف اللغوي فلا بدّ من ربطها بما يجاورها من بنًى تركيبيّة لتحقيق البنية الكبرى للنص ، وهذا ما تنبّه له المفسرون والبلاغيون في دراستهم للنص القرآني[١٦] . ويمكن بيان ملامح نحو النّص في تفسير الرّاغب الأصفهاني في معياري الاتساق ، والانسجام ، وقد اقتصر البحث على هذين المعيارين ؛ لأنّ (الاتساق) يبين لنا اهتمام النحويين القدامى والمفسرين بالنظام النّحوي ويبيّن دوره في ربط أجزاء الكلام ، ومرونته في ربط الجمل العربيّة مع بعضها . أمّا (الانسجام) فيتضح في النظم القرآني ، ومناسبة الألفاظ القرآنيّة ودلالاتها ، والسّياقات الواردة فيها .

١ . الاتساق

الاتساق : هو مفهوم يعنى بخصائص الربط النّحوي بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصيّة متماسكة و مترابطة[١٧] ، وقد عدّه بوجراند أوّل المعايير النّصيّة ؛ لأنّه يتشكل من إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة SURFACE على صورة وقائع يؤدي السّابق منها إلى اللاحق Pro-gressive occurrance ليتحقق لها التّرابط الرّصفي SEQUENTJAL CONNECTIVITY [١٨] ، أو هو "مجموعة من الإمكانات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النّص متماسكًا بعضها ببعض" [١٩] ، ويرى محمد خطابي أنّ الاتساق يهتم بالوسائل اللغويّة التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب ، أو خطاب برمته[٢٠] ، ويمكن بيان ملامح الاتساق النّحوي في تفسير الرّاغب بوساطة عدد من الوسائل أهما :

أ . الإحالة ب . الربط

أ . الإحالة

درس علماء النّص الإحالة كوسيلة من وسائل الربط اللفظي تحت مجموعة من المصطلحات منها الإحالة ، والصّيغ الكنائيّة ، والإحالة النصيّة[٢١] ، والإحالة : هي " العلاقة بين العبارات من جهة ، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[٢٢] ، أو هي : "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات ... فالأسماء تحيل على مسميات ، وتخضع هذه العلاقة لقيد أساسي ، وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحيل ، والعنصر المُحال إليه"[٢٣].

والإحالة من أبرز أدوات الاتساق النّحوي والتي تحقق التّرابط النّصي ، وتعمل على ربط الجمل والعبارات فيما بينها ربطًا لفظيًّا ، ودلاليًّا ، وهي تؤدي وظيفتها من اتجاهين :

الأوّل : ربط أجزاء النص بعضها ببعض .

الثاني : ربط النّص بالعالم الخارجي.

وقد قُسّمت الإحالة على قسمين :

١. إحالة داخليّة : وهي إحالة داخل النّص ، أو تعبير لغوي يتعلق بتعبير لغوي آخر في النّص[٢٤]. ويقوم هذا النّوع من الإحالة بدور فعّال في اتساق النّص.

٢. إحالة مقاميّة خارجيّة : وهي إحالة خارج النّص ، وتتي : إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر لغوي موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلم على ذات صاحبه[٢٥] .

ومن مواضع الإحالة عند الرّاغب ما ذكره في تفسير قوله تعالى : **﴿وَاسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ إِلّا عَلَى الخَاشِعِيْنَ﴾**[٢٦] ، إذ قال : "والصلاة أرفع منزلة من الصّبر ؛ لأنّها تجمع ضروبًا من الصّبر ، إذ هي حبس الحواس على العبادة ، وحبس الخواطر والأفكار على الطّاعة ؛ ولهذا قال : **﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ إِلّا عَلَى الخَاشِعِيْنَ﴾** وخصّها بردّ الضمير إليها دون الصّبر ، وأمّا الصّلاة التي تُخفّفُ على غير الخاشع ؛ فإنّها مسمّاة باسمها ، وليس في حكمها بدلالة قوله تعالى : **﴿إِنّ الصّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ﴾**[٢٧] ، ومثلها ، وقلّ ما ترى صلاة غير الخاشع تنهاه عن الفحشاء ، ومثلها في ردّ الضمير على أحد المذكورين لاختصاص العناية به قوله: **﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾**[٢٨] ، فأعيد الضمير إلى التجارة لمّا كانت سبب انفضاض الذين نزلت الآية فيهم ؛ ولأنّه قد تشغل التجارة عن العبادة من لا تشغله اللهو ، وعلى ذلك قوله : **﴿وَالذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ والفضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوْنَهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ﴾**[٢٩] ، لمّا كان حبس الفضّة عن النّاس أعظم ضررًا ، إذ كانت الحاجة إليها أمس ، ومنعها للمضرّة أجلب ، خُصّا بالضّمير"[٣٠] .

الملاحظ في الإحالة السّابقة أنّها جاءت بصيغة الإفراد وقد تقدم ذكر (الصّبر والصلاة) قبلها ، وقد وقع العطف بينهما بحرف الواو ، والأصل فيها مطابقة الضمير لما قبله في التّثنية والجمع بخلاف (أو) التي يقع العطف فيها على أحد ما سبق[٣١] ،

وإنّ عدم التّطابق بين الضمير العائد وما تقدمه من ألفاظ دفع المفسرين إلى التّأمل فيها والتماس التّوجيه المعنوي لها ، وقد أجمع الأعم الأغلب منهم على أنّ الإحالة عائدة على (الصلاة)[٣٢] لأهميتها ، فضلًا عن أنّ القاعدة في علم العربيّة ترى أنّ ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل[٣٣] ، وأضاف الرّاغب سببًا آخر هو اختصاص العناية بأحد المتقدمين ومثّل لذلك بالآيتين الواردتين في سورتي الجمعة والتوبة ، وأضاف أبو حيّان أكثر من وجه لهذه الإحالة ، فهي محمولة على عود الضمير على الاستعانة أي المصدر المفهوم من قوله : (واستعينوا) فيكون مثل : ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَقْوَى**﴾[٣٤] ، أي العدل أقرب ، أو على إجابة الرسول (ص) ؛ لأنّ الصبر والصلاة ممّا يدعو إليه ، أو على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصّبر والصلاة ، أو على الكعبة ؛ لأنّ الأمر بالصّلاة إليها ، أو على جميع الأمور التي أُمِرَ بها بنو إسرائيل ونُهوا عنها من قوله: (اذكروا نعمتي) إلى قوله : (واستعينوا) ، أو حُمِل على معنى التّثنية ، واكتفى بعوده على أحدهما فكأنّه قال : (وأنّهما) كقوله تعالى : ﴿**وَالذيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوْنَهَافِي سبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ**﴾[٣٥] ، وبهذا نرى أنّ الرّاغب وبقية المفسرين كانوا يُقرّون بوحدة النص القرآني في توجيهاتهم وتفسيراتهم ؛ لذا كانوا يستدلون في تفسير الآية وتوجيهها بالآيات التي تتفق معها في الدّلالة ، أو التّركيب على اختلاف مواقعها في النّص القرآني .

ومن مواضع الإحالة التي أشار إليها الرّاغب أيضًا عود الضمير(هم) في (ارزقوهم) ، و(اكسوهم) في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم التِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيامًا وارزقُوهُم فِيْهَا وَاكْسُوهُم وَقُوْلُوا لَهُم قَوْلًا مَعْرُوفًا**﴾[٣٦] ، فقد بيّن أنّ في عود الضمير

أقوالًا[٣٧] ، فقيل : يعود على السّفهاء ، وقيل : على النّساء ، وقيل : على الصّبيان ، ومنهم من اعتبر ذلك في كلّ من لم يكن حصيفًا في تدبير المال[٣٨] ثمّ قال :"ومنهم من اعتبر ذلك مع الحصافة في الدّين ، وكلّ واحد أشار إلى بعض ما يتناوله الاسم على سبيل المثال ، فمعلوم أنّه لا يصحّ صرفها إلى النّساء مفردات ، لقوله : ﴿**وَارْزُقُوْهُم**﴾ ، والنّهي عن ايتائهن المال على سبيل تفويض تدبير الأموال إليهن ، وقيل على سبيل تمليكهن على وجه التّمكين ، لا على نهي الإعطاء بقدر ما يحتاجون إليه ، وقال ابن جبير : معناه لا تعطوهم أموالهم ، وإضافته إلى المخاطبين على اعتبار الجنس نحو قوله : ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم** ﴾[٣٩] ، ونظر بعضهم نظرًا آخر فقال : عنى بالسّفهاء الوارثين ، الذين يُعلم من حالهم أن يتسفهوا في استعمال ما تناله أيديهم فنهى عن جميع المال الذي يرثه السّفهاء"[٤٠] .

نرى أنّ الرّاغب اكتفى ببيان الإحالة معتمدًا على سياق النّص داخل السورة الواحدة دون الرجوع إلى السّياق القرآني العام ، ويبدو أنّ السبب في ذلك يعود إلى أمرين: الأوّل : هو وضوح الدّلالة في هذه الآية بوساطة الآيات السّابقة واللاحقة لها في النّص القرآني ، ، والثّاني : إيمانه بتكامل الدّلالة في النص القرآني على مستوى السورة الواحدة تارة ، وعلى مستوى أكثر من سورة تارة أخرى .

وأشار إلى الإحالة بالضمير المنفصل (هو) في قوله تعالى:﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاّتَعْدِلُوا اعدِلُوُا هُوَ أَقْرَبُ لَلتقْوَى**﴾[٤١] ، إذ وقعت الإحالة بالضمير العائد على العدل المفهوم من قوله (تعدلوا) ؛ لأنّ عود الضمير يكتفي فيه بكل ما يُفهم حتّى يعود على ما لا ذكر له في الكلام[٤٢] نحو : :﴿ **حَتّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ**﴾[٤٣] ، قال الرّاغب : "وقوله : ﴿**هُوَ**﴾ أي : العدل فأضمر المصدر لدلالة الفعل عليه كقولهم : من كذب كان شرًّا له

أي : الكذب شرًّا له ... وأفعل إنّما يُقال في شيئين أُشرِكا في معنى واحد لأحدهما مزيّة... إنّ أفعل وإن كان كما ذكرت فقد يستعمل على تقدير بناء الكلام على اعتقاد المخاطب في الشّيء ، لا على ما عليه من حقيقة الشيء في نفسه قطعًا لكلامه ، وإظهار التبكية ، فيقال لمن اعتقد مثلًا في زيد فضلًا ، وإن لم يكن فيه فضل ، ولكن لا يمكنه أن ينكر أنّ عمروا أفضل منه ، فقال : اجزم عمروا فهو أفضل من زيد ، وعلى ذلك قوله تعالى : **﴿ءَآللّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾**(٤٤) ، وقد عُلم أنّ لا خير فيما يشركون بوجه"(٤٥) . والمعنى في الآية : لا يحملنّكم بغض قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم ، وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم **﴿اعدِلُوا﴾** أي اعملوا بالعدل أيّها المؤمنون في أوليائكم ، وأعدائكم **﴿هُوَ أَقْرَبُ لَلتقْوَى﴾** أي العدل أقرب للتقوى(٤٦) .

وبيّن الإحالة بالاسم الموصول في قوله تعالى : **﴿إنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيْهَا هُدًى وَنُوْرٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الذِيْنَ أسْلَمُوا لِلَذِيْنَ هَادُوْا وَالرّبَّانِيُّونَ والأحبّارُ بِمَا استُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾**(٤٧) جاءت على سبيل المدح لا على سبيل التّخصيص ، فقال : "إن قيل ما معنى قوله : **﴿النَّبِيُّونَ الذِيْنَ أسْلَمُوا﴾** ، والنبي لا يكون غير مسلم ، قيل الإسلام ها هنا الإخلاص لله في التّوكّل عليه ، وتفويض الأمر إليه ، نحو قوله : **﴿إذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اسْلِمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ العَالمِيْنَ﴾**(٤٨) ، وقوله : **﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** (٤٩) ... وقوله : **﴿الذِيْنَ أسْلَمُوا﴾** صفة لهم على سبيل المدح لا على سبيل التّخصيص ، أو بدل من قولة : **﴿النَّبِيُّونَ﴾** واللام في قوله : **﴿ لِلَذِيْنَ هَادُوْا﴾** متعلق بقوله : **﴿ إنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ﴾** ... للذين هادوا ، أو قيل متعلق بقوله : **﴿فِيْهَا هُدًى﴾** ، ومعنى هادوا : أي تابوا من قوله : **﴿إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ﴾**(٥٠) ، وقيل تقديره

يحكم بها النّبيّون الذين هادوا ، والمعنى يحكم لهم ، وعليهم ، لكن المعنى تذكيرهم عن داعيهم ، وعلى هذا قال بعضهم : يحكم فيهم ؛ لأنّ قولك فيهم يتضمن معنى وعليهم"(٥١) .

لقد دلّت الإحالة بالاسم الموصول على أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بعد موسى ، وقد بُعِثوا لإقامة التّوراة يحدُّون حدودها ، ويُحلون حلالها ، ويُحرِّمون حرامها ، وقد وُصِفُوا بالإسلام ؛ لأنّ الإسلام دين الله ، فكل نبي مُسلم ، وليس كلّ مسلم نبيًّا (٥٢) ، وقيل : إنّ اللام المتصلة بالاسم الموصول في (للذين هادوا) تتعلق ب(يحكم) أي يحكمون بالتوراة لهم ، وفيما بينهم ، ويكون المعنى على التّقديم والتّأخير ، وتقديره : إنّا أنزلنا التّوراة فيها هُدًى ونورٌ للذين هادوا يحكُمُ بها النّبيون الذين أسلموا(٥٣) .

وبيّن الإحالة البعديّة التي جاءت بوساطة (اسم الإشارة) في قوله تعالى : ﴿**ذَلِكَ الكِتَابُ لا ريبَ فِيْهِ**﴾(٥٤) فقال : " قال أبو عبيدة عنى به هذا الكتاب ، وقال غيره : عنى هو الكتاب ، فظنّ بعض من لم يتقوَّ في الحقائق أنّ قولهم (ذلك) قد يجيء بمعنى (هذا) ، و (هو) ، وليس الأمر على ما ظنّوه ، وإنّما قصد هذا المفسِّر أن يُبيّن أنّ الاسم الذي فيه الألف واللام هو الخبر ، لا لأنّه وصف والخبر منتظر كقوله تعالى : ﴿**إِنْ كَانَ هَذا هُوَ الحقُّ**﴾(٥٥) ، والفصل كما يقع بالمضمرات ، فإنّه يقع بالمبهمات ، فإن قيل إذا كان هذا المعنى لِمَ قدّمت في ﴿**الم ذَلِكَ الكِتَابُ**﴾ فهلّا قيل : (ذلك الكتاب الم) فإنّه قد عُلم أنّ حروف التّهجي –كما يكون الكتاب المشار إليه– قد يكون شعرًا وخطبةً ورسالةً، وقد تقرر أنّ العام إذا أُخير عنه بالخاص كان كذبًا نحو قولهم : الحيوان إنسان وإذا أخبر عن الخاص بالعام كان صدقًا نحو قولهم : الإنسان حيوان ، فيحل من ذلك أنّه إذا قيل (الم ذلك الكتاب) – كان كذبًا على هذ– وإذا قيل : (ذلك الكتاب الم)كان صدقًا"(٥٦)، وقد ردّ هذا الإشكال

بجوابين : أحدهما : أنْ يُجعل (ذلك الكتاب) مبتدأ ، و(ألم) خبرًا له مقدمًا، وتقديمه على كون العناية به أصدق ، والثاني : إنّه قد يقال : الإنسانُ زيدٌ ، وهو يُراد أنّ كمال الإنسانيّة موجودٌ في (زيد) ، فكأنّه قيل : كمال حروف التّهجي موجودٌ في هذا الكتاب ، والمكتوب في التعارف اسم للمكتوب ، أي : المنظوم كتابة ، وقد يُعبّر عن المنظوم عبارة قبل أن يُكتب بالكتاب[٥٧].

يتضح ممّا تقدّم أنّ الرّاغب يجعل النحو تابعًا للمعنى القرآني ، فهو لم ينسق وراء الصّناعة النّحويّة فيصطدم مع المعاني القرآنيّة ، وإنّما يعالج النّحو من النّاحية التي تخدم تفسير القرآن ، وتبرز معانيه[٥٨] ، فكانت جميع الإحالات التي ذكرها وسائل ربط تسهم في ربط أجزاء النص القرآني على مستوى السورة الواحدة ، أو على مستوى القرآن الكريم بجميع سوره ، وآياته .

٢ . الرّبط

الربط : هو إحدى العلاقات السّياقيّة التي تقوم بين طرفين في النّص ، باستعمال أداة توضّح تلك العلاقة[٥٩] ، أو هو قرينة لفظيّة تدلّ على اتصال أحد المترابطين بالآخر[٦٠] .

ويتم الربط بين الكلمات أو الجمل فيُضاف اللاحق منهما إلى سابقه بوساطة أدوات تربط بين بين" صورتين ، أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة ، أو متشابهتين "[٦١] .

بيّن الرّاغب أثر الربط في تماسك النصوص القرآنيّة ، وقد أكّد على النّصوص القرآنيّة التي يحتاج تحديد الربط فيها إلى إعمال الفكر والتّأمل ؛ لبيان تعلق النّصوص مع بعضها في السياقات القرآنيّة العامة ، والخاصة[٦٢] ، وكان أكثر ما يعرض ذلك بطريقة الحوار ، بين سائل ومُجيب ، ومن ذلك ما ذكره في بيان تعلق ﴿ **وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ**﴾ في قوله

تعالى : ﴿**لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِيْنَ أَوْلِياءَ مِنْ دُوْنِ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيءٍ إلّا أَن تَتَقُوا مِنْهُم تُقاةً وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ المَصِيْرُ**﴾[٦٣] بما قبلها ، فقال : " إن قيل ما تعلق هذه الآية بما قبلها ؟ قيل : لمّا عرّفنا أنّه مالك الكُل ، والقادر عليه نهانا عن مولاة من يعاديه ، وقوله : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ**﴾ ، فالحذر الاحتراز من السّطوة ، وذلك على ضربين ، أحدهما حذر الإنسان إياه برؤية ذنوبه ، وإليه قصد بقوله : ﴿ **يَحْذَرُ الآخرةَ**﴾[٦٤] ، والثّاني حذّره برؤية تقصيره في طاعته ، وإياه قصد في هذه الآية ، وعلى هذا ذكر التّقوى فقال : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ**﴾[٦٥] ، وفي موضع : ﴿ **يَا أَيُّهَا الذِيْنَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ**﴾[٦٦] .قال الحسن : من رحمته أن حذّرهم نفسه... وفائدة ﴿**وَيُحَذِّرُكُم اللهُ**﴾ في هذا المكان أنّه لما ذكر قوله : ﴿ **إلّا أَن تَتَقُوا مِنْهُم**﴾ بيّن أنّكم وإن اتقيتموهم فاحذروا الله ، فإنّه يحذركم أن توالوهم بقلوبكم"[٦٧] . وبعد أنّ ذكر تعلق الآية بما قبلها أشار إلى ارتباطها بما بعدها في قوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُرِكُمْ أَو تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ واللهُ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ**﴾[٦٨] ، **فقال** : "ولمّا نهى تعالى عن موالاة الكفّار – وذلك يكون بالقلب قبل أن يكون بالجوارح – حذّرهم أن يوالوهم بقلوبهم ، فيكونوا كمن وصفه بقوله : ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُم غَيْرَ الذِي تَقُولُ**﴾[٦٩] ... بيّن أنّه لا يخفى عليه ذلك ، بل لا يخفى عليه ما في السّموات والأرض ، وهو قادر عليهم ، وإذا كان قادرًا ، وعالمًا بالسّرائر فحقٌّ أن يُحذَرَ"[٧٠] .

إنّ بيان هذا التّرابط بين الآيات القرآنيّة في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم التي أشار إليها الرّاغب

لا يمكن أن يُتوصل إليها إلى بامتلاك الملكة اللغويّة ، والتّمرس بأسلوب القرآن الكريم ، فضلًا عن التنبّه إلى الدلالات الخاصة ، والعامة للألفاظ القرآنية ، وقد استطاع الرّاغب أن يبيّن جميع تلك المعاني بما يمتلكه من حسّ لغوي ، وإرثٍ قرآني ، ومكانة علميّة .

وأشار إلى تعلق قوله تعالى : ﴿**وَرَسُولًا إلى بَنِي إسرَائِيل** ﴾ بسياق الآيات السّابقة له: ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ والإنْجِيْلَ ۞ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُم**﴾[٧١] ، فقال : " إن قيل كيف تعلق هذه الآية بما قبلها ، وما قبلها حكاية عن الله نفسه ، وهو : ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ**﴾ ، وهذه حكاية حكاها عن عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهو : ﴿**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم**﴾ ، قيل : تقديره ، وبعث رسولًا يقول : إنّي قد جئْتُكُم ، ودلَّ على إضمار القول ذكر الرّسول ، وترك ذكر مريم ، وابتدأ بإرسال عيسى ، وما قال له ، وذكر معجزاته" [٧٢] .

وذكر أيضًا أنّ (التوراة والإنجيل) عُطِفا على الكتاب ، وهما من جملته ؛ لاحتمالين[٧٣] : الأوّل : أن يكون قد عنى بالكتاب القراءة ، والكتابة ، وعُلِّم تعليمًا إلاهيًّا في حال الطفولة ، والثاني : أن يكون المقصود بالكتاب كتب الله المنزلة ، وخصص التوراة ، والإنجيل كتخصيص ذكر جبرائيل ، وميكائيل بعد الملائكة تفضيلًا لهم.

لقد بيّنا سابقًا أنّ الراغب يجعل النحو ، وأحكامه تابعًا للمعاني القرآنيّة ، وهذا ما عمله في الآية السّابقة إذ بيّن فيها تعلق (رسولًا) بما قبله من جهة المعنى ، وارتباطه بما بعدة (أنّي قد جئتكم) ، ولم يدخل في تفاصيل الأحكام النّحويّة التابعة لها في السّياق القرآني ، إذ يرى أبو حيّان أنّ المفسرين اختلفوا في (رسولًا) وقد ذهبوا إلى أنّه إمّا وصف بمعنى المرسل على ظاهر ما يُفهم منه ، أو هو مصدر بمعنى رسالة ، ويكون على هذا التّوجيه معطوفًا على (الكتاب) ، أي : ويعلمه رسالة إلى

بني إسرائيل ، فتكون رسالة داخلًا فيما يعلمه الله عيسى ، وأجاز أبو البقاء في هذا الوجه أن يكون مصدرًا في موضع الحال[٧٤] ، وأمّا الاحتمال الأول فقد ذهبوا فيه إلى خمسة أوجه[٧٥] ، وهي:

الأول: أن يكون منصوبًا بإضمار فعل تقديره(ويجعله رسولًا إلى بني إسرائيل) .

الثّاني :أن يكون معطوفًا على (ويعلمه) فيكون حالًا ، إذ التقدير : (ومعلمًا الكتاب) فهذا كله عطف بالمعنى على قوله (وجيهًا) .

الثالث : أن يكون منصوبًا على الحال من الضمير المستكن في (ويكلم)فيكون معطوفًا على قوله (وكهلًا) أي :(ويكلم النّاس طفلًا و كهلًا ورسولًا إلى بني إسرائيل) ، وهو بعيد جدًا لطول الفصل بين المتعاطفين .

الرّابع : أن تكون الواو زائدة ، ويكون حالًا من ضمير (ويعلمه) ، وهو ضعيف لزيادة الواو .

الخامس : أن يكون منصوبًا على اضمار فعل من لفظ (رسول) ، ويكون ذلك الفعل معمولًا لقول من عيسى ، والتّقدير : وتقول : (أرسلتُ رسولًا إلى بني إسرائيل) ، وقد أُجري هذا التقدير لقوله : (إنّي قد جئتكم) ، وقوله : (ومصدقًا لما بين يدي) ، إذ لا يصحّ في الظاهر حمله على ما قبله من المنصوبات لاختلاف الضمائر ؛ لأنّ ما قبله ضمير غائب ، وهذان ضميرا متكلم ، وقد أُجري هذا التّقدير ؛ لتصحيح المعنى ، وقد عُدّ من المضايق ، أي من المواضع التي فيها إشكال . وبهذا نرى أنّ الرّاغب لم يُشر إلى هذه التقديرات ، واكتفى بما يراه قريبًا من المعنى العام للسياق القرآني.

وبيّن الرّاغب الربط والارتباط بين قوله تعالى : **﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ﴾** وما قبله في النّص القرآني : **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُم عَلَى أَعقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَقِبَيْهِ فَلن يَضُرَ اللهَ شَيْئًا وسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ﴾**[٧٦] ، فقال : "إن قيل كيف تعلّق قوله : **﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ﴾** بما قبله ؟

قيل : إنّ ذلك قضيّة حُذف بعضُها ، تقديرها : ومن أحسن يُجزه الله ، فإنّه سيجزي الشَّاكِرِيْنَ"[٧٧] ، وقيل أيضًا : إنّ المراد بالشّاكرين المطيعين ؛ لأنّ الطّاعات هي شكر لله على نعمه ، وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد ؛ لأنّ قوله : فلن يضر الله شيئًا دليل على معنى الوعيد ، فكأنّه قال : مَن يرتدّ عادة ضرره عليه ، ومَن شَكَر وآمن فنفعه يعود إليه[٧٨] .

وأشار إلى الربط بـ (أو) في قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٧٩] فقال : "وإنّما قال (أو كصيب)؛لأنّه من حيث أنّه يدل على أحد الشيئين، ويستعمل في الإباحة والتخيير، وفيه تنبيه على أنّه أن شبّه بأحدهما فصواب، وأن شبّه بهما فصواب، وهذا المعنى في لفظه أو دون الواو. فإن قيل كيف وجه العطف في ذلك وقد قال في الأوّل ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾ ولا يليق أن يقال بعده. (أو كصيّب) قيل: قد أجيب عن ذلك بانّه أريد أو كاهل صيب من السماء، قيل: إن ذلك عطف على المعنى ، وذاك أن التشبيه تارة يؤتي به مطابقاً للمشبه في اللفظ، وتارة يؤتي به على ما يقتضيه المعنى دون اللفظ وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾[٨٠] ، معناه كحرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح، فروعي فيه المعنى دون اللفظ"[٨١] .

ويرى الزمخشري أنّ (أو) في أصلها لتساوى شيئين فصاعدا في

الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: **﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾**، أي: الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، فكذلك قوله : (أَو كَصَيِّبٍ) معناه أنّ كيفية قصّة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين، وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك"[٨٢].

ومثلما بيّن الرّاغب الربط بحرفي (الواو) و (أو) ، أشار إلى حروف أخرى تساهم في ربط أجزاء النّص ، ومنها (ثمّ) التي تفيد الربط بين الجمل المتعاطفة على نحو الترتيب ، والتراخي[٨٣] كما في قوله تعالى : **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ للنّاسِ كُونُوا عبادًا لِي مِنْ دُونِ الله ﴾**[٨٤] فقال : " وقوله : ﴿ ثُمَّ يقول للناس﴾ بالرّفع على الاستئناف ، وبالنّصب على العطف ، أي لا يجتمع الأمران : إثبات النبوة ، وقوله : ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي مَن دُونِ الله ﴾ وقوله : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَانينَ ﴾ يعني : ولكن يقولوا : كُونُوا رَبَّانيّن حكماء أولياء لله فقد قيل : إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله في الأرض، ولي ، وقيل كونوا متخصصين بالله تخصصًا تنسبون إليه ، وتوصفون بعامة أوصافه نحو الجواد والودو والرحيم[٨٥]. وأشار أيضًا إلى أنّ تكرار (ثمّ) أفاد بيان مراتب الإيمان والتقوى في قوله تعالى : **﴿لَيْسَ عَلَى الذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحات جُنَاحٌ فِيْمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحات ثُمّ اتّقَوا وَءَامَنُوا ثُمّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُ المُحْسِنِيْنَ﴾**[٨٦] ، وبهذا حقق التراخي الموجود في (ثمّ) بيان ما يحتاجه الإنسان من وقت للانتقال من مرتبة إلى أخرى ، لأنّ للتقوى ثلاثة

منازل : الأوّل : ترك المحرّمات ، والثّاني : ترك الشّبهات ، والثّالث : ترك بعض المحللات تهذيبًا للنفس[٨٧] ، كذلك إنّ تكرار (ثمّ) في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الذِيْنَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنْ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُم وَلا لِيَهْدِيَهُم سَبِيْلًا**﴾[٨٨] ، أفاد بيان منازل الفسق التي تمثل مراحل الهبوط الإنساني ، فبيّن تعالى أنّ من انتهى في الغي إلى هذه المنازل فقد صار بحيث لا يتوب ، وإذا لم يتب لم يغفر الله له ، ولا ليهديه إذ هو لا يهتدي لكونه قد طُبع على قلبه لما ارتكبه[٨٩] .

يتضح ممّا تقدم أنّ الراغب كان يعد العطف وسيلة مهمة من وسائل الربط داخل أجزاء التراكيب النّحويّة فضلًا عن قيمته الدّلاليّة في دمج المعاني المتشابهة والمتقاربة بعضها مع بعض ، وقد أسهم بهاتين المزيتين في تماسك النّصوص القرآنيّة في سياقاتها المختلفة.

٢ . الانسجام

إنّ مصطلح (الانسجام) من المصطلحات المهمة التي اختصت بدراسة النص وارتباط مكوناته ، فهو يمثل علاقة معنويّة بين عنصرين أو أكثر داخل النص ، ويفسر أحدهما الآخر[٩٠] ، وهو "المعيار الذي يختص بالاستمراريّة الدّلاليّة التي تتجلى في عالم النص أي في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم أي العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب أو معاني الجمل في النص ، وهذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدثين"[٩١].

والانسجام أعم من الاتساق ؛ لأنّه يختص بالعلاقات الخفيّة التي تولّد النّص ، وتنقل المتلقي من المعنى المتحقّق ، وغير المتحقّق إلى المعنى الكامن في النّص[٩٢] ؛ لأن الروابط الشّكليّة لا يمكنها بيان التماسك النّصي ما لم تستعن بالرّوابط الدّلاليّة بين الألفاظ ؛ للكشف عن ظلال المعاني ، ولإدراك قصد المتكلم ، وهذا

ما يمثّله المستوى الدّلالي (الانسجام)[٩٣] . ويمكن بيان ملامح الانسجام في تفسير الرّاغب في المحاور الآتية :

أ . **السّياق**

عُرّف السّياق بأنّه :"إطار عام تنتظم فيه عناصر النّص ووحداته اللغويّة ، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط ، وبنية لغويّة وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدمها النّص للقارئ"[٩٤] ، أو هو :"الخلفية المعرفيّة التي يُفترض أن يشترك فيها كلّ من المتكلم والسّامع ، أو المتلقي ، والتي تسهم في جعل المتلقي يفسر ما يقصده المتكلم من كلامه"[٩٥]. أو هو : النّص الذي تذكر فيه الكلمة ، وما تشتمل عليه من عناصر لغويّة مختلفة تفيد الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة ، أي يشتمل النظم اللفظي للكلمة ، وموقعها من ذلك النظم ، فهو يتناول البنيّة الدّاخليّة للغة ، ويتطلّب وجوب النظر إلى الكلام اللغوي ، وتحليله على المستويات اللغويّة المختلفة[٩٦] .

وقد تنبّه علماء العربيّة ، ومنهم الرّاغب الأصفهاني إلى تفرد القرآن الكريم بنظمه وأسلوبه بطريقة تجعل من تآلف كلماته ، وحروفه ، وأصواته ، تآلفًا يستريح له السّمع والصّوت والنّطق ، وتضامها على نسق جميل ينطوي عل إيقاع رائع[٩٧] . وبيّن الآليات التي تتحكم في ربط أجزائه ، فقد أفرد فصلًا في مقدمة تفسيره بعنوان "فصلٌ في أقسام ما ينطوي عليه القرآن من أنواع الكلام ، فقال : " وقد تقرر أنّ أنواع الكلام المركب الخبر ، والاستخبار والأمر ، والنهي ، والطّلب ، والشّفاعة، والوارد في كلام الله تعالى من ذلك الخبر والأمر والنّهي ؛ وذلك أنّ علام الغيوب لا يحتاج إلى الاستخبار ، وكلّ ما ورد من ألفاظ الاستخبار فعلى الحكاية ، أو على الإنكار والتوبيخ ... والخبر ما ينطلق عليه الصّدق والكذب ، وخاصيته أن يتعلق بالأزمان الثلاث

"[٩٨] ، ثمّ قسّم الخبر على ضربين :"أحدهما : إلقاء ما ليس عند المخاطب إليه ليتصوره نحو أمور الآخرة من الثّواب والعقاب ، والثّاني : إلقاء ما قد تصوّره ؛ ليتأكد عنده"[٩٩] . وقد بيّن هذه الأقسام التي ينطوي عليها كتاب الله في تفسيره وتحليله للآيات القرآنيّة ، ومن ذلك ما ذكره في بيان قوله تعالى : **﴿كَيْفَ تَكفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُم ثُمَّ يُمِيْتُكُم ثُمَّ يُحييكُم ثُمَّ إِلِيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[١٠٠] إذ قال : " كيف ههنا استخبار لا استفهام ، والفرق بينهما أنّ الاستخبار قد يكون تنبيهًا للمخاطب ، وتوبيخًا ، ولا يقتضي جهل المستخبر ، والاستفهام بخلاف ذلك ، فكلّ استفهام استخبار ، وليس كلّ استخبار استفهامًا"[١٠١]. وقال في توجيه قوله تعالى : **﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا وأنتم تعلمونَ﴾**[١٠٢] " إن قيل ما وجه قوله (وأنتم تعلمون) فإنّ ذلك إن جعلته خبرًا مستأنفًا فلا بُدّ له من ذكر معلمٍ يقترن به حتّى يحصل به تمام الخبر ، وإن جعلته حالًا يصير تقديره : لا تجعلوا له أندادًا في حال علمكم ، ذلك غير صحيح ؛ لأنّ جعل الأنداد محظور في كلّ حال ، قيل : إنّ ذلك حال للمنتهي ، وليس الإتيان به شرطًا لقصر الحكم على هذه الحال ، وإنّما هو تنبيه على قبح فعلهم ؛ لأنّ مرتكب القبيح مع علمه بقبحه أعظم جرمًا ، وإذا قيل : لا تكفر معاندًا ، فذلك نهي عن الكفر ، وعن العناد ، وعلى هذا قوله تعالى : **﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَلَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾**[١٠٣] ثمّ قوله : (وأنتم تعلمون) عامٌ فيمن حصل له العلم بذلك ، وفيمن له التّمكن مع العلم به ، فقد يصف من حصل له التّمكن من الشيء التّرشيح له بذلك الشيء كتسميتهم العصير خمرًا ، والصّبي ناطقًا ، والنّائم عالمًا قد تقرر في عقل كلّ عاقل إذا تأمل أدنى نظر أنّه لا بدّ للموجودات من موجد لها يخالفها ، يصحّ أن يقال لهم : (أنتم تعلَمُنّ) وبهذا الوجه قال: **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السّمَاءِ والأَرضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَنْ يُخْرِجُ**

الحيَّ مِتَ المَيِّتِوَيُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَي وَمَنْ يُدَبّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُول الله﴾[١٠٤] ومعلوم أنّهم لا يقولون ذلك إلا بأدنى تأمل واعتبار "[١٠٥] .

يتضح ممّا تقدم أنّ الرّاغب يعتمد على السّياق القرآني في بيان المعاني المحتملة للنصوص القرآنيّة ، وحملها على الخبر أو الاستخبار على وفق المعطيات المتأتيّة للمخاطب ، وخير مصداق على ذلك ما بينه في تفسير قوله تعالى : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى الملائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾**[١٠٦] ، فقال : "والصّدق إنّما يتعلق بالخبر ، وهم إنّما استُخْبِرُوا ولم يُخْبَرُوا ، فكيف يصح أن يصدقوا ، أو يكذبوا ؟ قيل : أمّا قوله : (أَنبِئُونِي) فليس بتكليف ، وإنّما هو تنبيه على عجزهم عن الخلافة التي رُشِّح الإنسان لها ، وقد عُلم أنّ لفظة (افعل) تجيء على أوجه منها : التّبكيت ، والتّعجيز ، وقوله : (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ) ، فالصّدق ، وإن كان لا يدخل الاستخبار ، والأمر ، والنّهي بالقصد الأوّل ، ومن حيث مقتضى اللفظ ، فإنّه قد يدخلها بالقصد الثّاني ، ومن حيث المعاني ، فإنّ السّائل إذا قال مُستفهمًا : أزيدٌ في الدّار؟ ، أو قال : أعطني شيئًا . فأنّه بالأوّل ينبه على جهله بكون زيد في الدّار ، وبالثّاني على حاجة وافتقار ،فمن هذا الوجه صحّ أن يُقال : هو صادقٌ أو كاذبٌ على أنّ هذا حكم على قولهم : (من يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءُ) ، فإنّهم استفهموا بقولهم : **﴿أتجعلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءُ﴾** ، ويصح أن يكون ذلك راجعًا إلى قوله : **﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾** تنبيهًا لهم على أنّه ليس كلّ تسبيح وتقديس بما يقولونه ، بل من التّسبيحات والتّقديسات ما يصلح له غيركم"[١٠٧].

وفصّل القول في استعمال أساليب الكلام في الحقيقة والمجاز ، ورأى أنّ الفرق بينهما أنّ الخبر إذا كان مستعملًا في العمل والاعتقاد ، فيقال : هذا فعلٌ ، وخبرٌ ، وقولٌ له حقيقة ، وإذا كان مستعملًا في التّسمح ،

والتوسّع ، فيقال هذا خبرٌ في المجاز ، ثمّ ميّز بين المجاز الذي يقع في الألفاظ والذي يقع في الجمل فقال : "وربّما يكون اللفظ الواحد من وجه حقيقة ،ومن وجه مجاز ، نحو قولهم : فلانٌ عظيم الإقدام فمن حيث استعمل القدم حقيقة ، ومن حيث أتى بلفظ الجمع مجاز ، وأمّا المجاز في الجمل فمن حيث هي جملة لا يكون إلا بحذف أو زيادة ، أمّا الحذف : فما كان المحذوف منه شيئًا مستغنًى عنه لدلالةٍ عليها فذلك من الإيجاز نحو حذف المخبر عنه تارة ، والخبر تارة ، والمضاف تارة ، والمضاف إلية تارة ، والمفعول تارة ، والفاعل تارة ، وأمثلتها مشهورة يُستغنى عن ذكرها . وأمّا الزيادة فلا شبهة أنّ كلّ زيادة تقتضي زيادة في المعنى ، أو بسط مختصر ، أو شرح مبهم ، فإنّها مستحسنة متى حصل فيها شرائط البلاغة ، نحو ذكر جبريل ، وميكائيل بعد ذكر الملائكة ، وذكر النّخل والرّمان بعد الفاكهة ... وأمّا المستنكر المستكره عند أكثر المحصلين فكلّ زيادة ادّعى فيها أنّ وجودها وعدمها سواء ، كما وعم بعضهم أنّ ذلك كالكاف في قوله تعالى : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**(١٠٨)، والوجه في قوله : **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾**(١٠٩) ، أي : الله ، وقوله تعالى : **﴿ بِسْمِ اللهِ﴾** ، أي بالله ، وقوله : **﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾**(١١٠) ،أي أن تسجد ، وكلّ ذلك يجيء الكلام عليه في مواضعه في أنّها ليست بزائدة ، وأنّ لها معاني صحيحة . وبعض النّاس تحرّوا في آيات ذكرها الله تعالى على سبيل المثل تطلب الحقائق"(١١١) .

وقد أفرد فصلًا بعنوان "الألفاظ التي تجيء متنافية في الظاهر" ذكر فيه أنّ النّفي والإثبات في الخبر الواحد إذ اجتمعا لا بدّ من صدق أحدهما ، وكذب الآخر ، نحو أن يقال : زيدٌ خارجٌ ، زيدٌ ليس بخارجٍ ، ثمّ مثّل لذلك بأخبار وردت في سور مختلفة من القرآن الكريم تبدو في ظاهرها أنّها أخبار متنافية ، نحو قوله تعالى : **﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَى**

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١١٢] ، مع قوله ﴿ **فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾**[١١٣] ، وقوله إخبارًا عن الكفّار أنّهم يقولون : ﴿**وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ﴾**[١١٤] ، مع قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيْثًا﴾**[١١٥] ، وقوله تعالى : ﴿**هَذَا يَومُ لا يَنْطِقُونَ﴾**[١١٦] ، مع قوله تعالى : ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾**[١١٧] ثم قال : "وقبل الجواب عن ذلك يجب أن نقدم مقدمة تزول الشّبهة بها عن ذلك ، وعن أمثاله ...وهو أنّ الخبرين اللذين أحدهما نفي والآخر إثبات إنّما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمخبر عنه ، وفي المتعلق بهما ، وفي الزمان والمكان ، وفي الحقيقة ، والمجاز ، فأمّ إذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين نحو أن يقال : زيدٌ مالكٌ ، زيدٌ ليس بمالك ، وتريد بأحد الزيدين غير الآخر ، أو تريد بأحد المالكين المبني "من" الملك ، وبالآخر المبني من الملك الذي هو أشد ، أو تريد بأحدهما : المالك في الحال ، وبالآخر أنّه ممّن يصحّ ملكه كالعبد ، أو أن تعني بأحدهما في زمان ، وبالآخر في زمان آخر غير الزمان الأول ، فكلّ هذا لا تناقض فيه ، فإنّ المراد بأحد الخبرين غير المراد بالآخر ، وعلى ذلك كلّ ما يوصف بوصفين متضادين على نظرين مختلفين"[١١٨] .

يتضح ممّا تقدم أنّ الرّاغب حكّم السّياق ، وظروف المقال للتمييز بين النصّوص التي ترتبط فيما بينها برابط دلالي ، وهذا ما أكّدت عليه الدّراسات اللسانيّة الحديثة[١١٩] . ثمّ بيّن أنّ تفسير القرآن تتفاوت فيه منازل العلماء ، وهذا التفاوت يرجع إلى شيئين[١٢٠] : أحدهما : راجع إلى اللفظ ، والآخر راجع إلى المعنى ، فالرّاجع إلى اللفظ يكمن في شيئين : أحدهما : ما اختصت به اللغة العربيّة من الإيجاز ، والحذف ، والاستعارات ، والإشارات اللطيفة ، واللمحات الغامضة ممّا ليس في سوى هذه اللغة ، والآخر : ما يوجد في القرآن خاصة من الإيجازات والحذف ممّا ليس في غيره من الكلام

، ولما فيه من اللفظ اليسير المنطوي على المعنى الكثير ، وأمّا الرّاجع إلى المعنى فذكره تعالى أصولًا منطوية على فروع بعضها بيّنه النبي (عليه السلام) ، وبعضها فوّض استنباطه إلى الرّاسخين في العلم تشريفًا لهم ، وتعظيمًا لمحلهم .

ب. المناسبة

تعدّ المناسبة من أهم الآليات التي يمكن بوساطتها تحقيق انسجام النص[١٢١] ، وتكشف عن كيفية تماسك أجزائه ، قال الزركشي : " واعلم أنّ المناسبة علم شريف تحزَرُ به العقول ، ويُعرفُ به قدرُ القائل فيما يقول ... ؛ ولهذا قيل المناسبة أمر معقول ؛ إذا عُرض على العقول تلقفته بالقبول . وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ، ومرجعها –والله العالم– إلى معنًى ما رابط بينهما : عام ، أو خاص ، عقبيّ ، أو حسيّ ، أو خياليّ ، وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذّهني كالسبب ، والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنّظيرين ، والضّدين ، ونحوه ، أو التلازم الخارجيّ كالمرتب على ترتيب وجود الواقع في باب الخبر. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[١٢٢] .

وترتبط المناسبة ارتباطًا وثيقًا بالسّياق إذ إنّ كلًا منهما يكمل الآخر ، ويخدم بيان وحدة النّص القرآني[١٢٣] ؛ لأنّ المناسبة تختص في بيان ارتباط الألفاظ في الآيات ، وارتباط الآيات بعضها ببعضها الآخر في سياقها ، والسياق هو الضام لتلك الآيات بما تحمله من معانٍ وحقائق " فبيان وجه مناسبة الآيات : هو بيان وجه اتساقها وانتظامها في سياق ما"[١٢٤].

وقد اهتم الرّاغب كثيرًا في بيان مناسبة الألفاظ القرآنيّة في سياقاتها المختلفة ، وبيّن سبب ذلك على مستوى الآية الواحدة حينًا وعلى مستوى أكثر من آية حينًا آخر ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُم وَلِيُمَحِّصَ مَا في قُلُوبِكُم واللهُ عليمٌ بِذَاتِ**

الصُّدُور﴾[١٢٥] . بيّن الراغب في هذه الآية المناسبة القرآنية لذكر (ما في صدوركم) مع الابتلاء ، ومناسبة (ما في قلوبكم) مع التمحيص ، فقال : "وحيث ما ذكر المكارم من إصلاح الضمير من نقض الحزن ، ورفض الذعر ذكر الصّدر ، وحينما ذكر الإيمان المحض ذكر القلب ، وكلّ موضع يذكر الله في القرآن العقل والإيمان ، فإنّه يخص ذكر القلب ، وإذا أراد ذلك وسائر الفضائل ، والرذائل ذكر الصّدور ، وهذا إذا اعتبر بالاستقراء انكشف"[١٢٦] ، ثم استدلّ على ذلك ببعض الآيات القرآنيّة ومنها: قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ في قلوبكم﴾**[١٢٧] ، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ﴾**[١٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿ **أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾**[١٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾**[١٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإِسْلَامِ﴾**[١٣١] . وبعد هذا الاستدلال القرآني قال : " ولمّا كان التّمحيص أخص من الابتلاء كما تقدّم خصّه بالقلب ، وهذه الأحوال الثلاث يترتب بعضها على بعض ، فبإصلاح العمل يُتوصل إلى إصلاح ما في الصّدر من الشّهوة والغضب ، وبهما وبإصلاح ذلك يتوصل إلى إصلاح ما في القلوب من الاعتبارات التي لا يعتريها شكّ ويب ، وذلك ما يبلغه العبد ، وبه يستحق الخلافة لله"[١٣٢] .

يتضح ممّا تقدم أنّ الراغب كان يوجه المناسبة القرآنيّة للألفاظ مستدلًا بالسياق الخاص لتلك الألفاظ فضلًا عن السّياق القرآني العام الذي تكررت فيه تلك الألفاظ .

وضمن إطار المناسبة القرآنيّة حاول أن يُجيب على تساؤل مفاده: كيف نفى الله عزّ وجلّ الخوف عن الأولياء في مواضع نحو قوله : ﴿**أَلَا إِنّ أولياءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُم يَحْزَنُونَ﴾**[١٣٣] ، ومدحهم بذلك في مواضع نحو قوله : ﴿**يَخْشَوْنَ رَبَّهُم وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾**[١٣٤] ، وقوله : ﴿**يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ**

عَذَابَهُ﴾[١٣٥] ؟ فقال: "أمّا نفي الخوف والحزن عنهم فقد قيل : لفظه الخبر ، ومعناه : النّهي كقوله : **﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾**[١٣٦] ، وقيل : هو خبر ، لكن مدحهم بها في الدّنيا وحثّهم عليها ، وأمّنهم منها في الأخرة ، كما رُوي من خاف الله في الدّنيا أمّنهُ اللهُ في الآخرة ، وعلى ذلك حكى عنهم بقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا الحمدُ للهِ الذي أذهَبَ عنّا الحَزَنَ﴾ ، وأيضًا فإنّ الخوف الذي مُدحَ به المؤمنون ، وَحُثُّوا عليه ليس يُراد به استشعار الرّعب المترقب مضرتهُ ، وإنّما يُراد به فعل الخيرات المأمور بها المذكور في قوله : ﴿يّخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ﴾ ، والكف عن المعاصي ونهي النّفس عن الهوى"[١٣٧] .

وبيّن بعض الفروق الدّلاليّة بين الألفاظ ؛ لبيان المناسبة القرآنيّة في استعمالاتها ، وهذا ما نجده في قوله : " فإن قيل ما الفرق بين الإقرار والشّهادة ؟ قيل : الشّهادة إقرار مع العلم ، وثبات اليقين ، والإقرار قد ينفك من ذلك ، ولهذا كذّب الله تعالى الكفّار في قولهم : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللهِ﴾[١٣٨] ، ولو قالوا نقرّ لم يكذبوا"[١٣٩] .

وأشار إلى الاستعمال القرآني لبعض الألفاظ بدلالات مجازيّة لتحقيق أغراضٍ بلاغيّة ، ومن ذلك قوله : " الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهديّة ... فإن قيل : كيف جعلتَ الهدى دلالةً بلطف ، وقد قال الله تعالى : **﴿فَاهْدُوهُم إلى صِرَاطِ الجَحِيْمِ﴾**[١٤٠] ، وقال تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أنّهُ مَنْ تَوَلّاهُ فَإنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيْهِ إلى عَذَابِ السَّعِيْرِ﴾**[١٤١] .قيل إنّ ذلك على حسب استعمالهم اللفظ على التّهكم ، كما قال[١٤٢] :

وَخَيْلٌ دَلَفْتُ لَهُ بِخَيْلٍ
تَحِيْةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيْعُ

والهداية : هي الإرشاد إلى الخيرات قولًا وفعلًا ، وهي من الله تعالى على منازل بعضها يترتب على بعض لا يصح حصول الثّاني إلّا بعد الأوّل ، ولا الثّالث إلا بعد الثّاني "[١٤٣] . ومن ذلك أيضًا ما ذكره في استعمال القرآن الكريم للبشارة مع العذاب ، إذ قال : "

فإن كانت البشارة للأخبار السّارة فما وجه قوله تعالى : ﴿**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[١٤٤] ؟ قيل إنّ مثل ذلك قد يُستعمل على سبيل التّهكم "[١٤٥] ، وقال أيضًا: " إن قيل : كيف قال : ﴿**فَأَثَابَكُم غَمًّا بِغَمّ**﴾[١٤٦] ، والإثابة تُقال في المحبوب دون المكروه ؟ قيل : قد قال بعضهم إنّ ذلك يُستعمل في المكروه على أحد وجهين : إمّا لأنّ الثّواب في الأصل ما يرجع إلى الإنسان من ثمرة فعله خيرًا كان أو شرًّا ، ولكن تعورف في الخير ، فإذا استُعمل في المكروه فعلى اعتبار الأصل ، والثّاني : إنّ ذلك على الاستعارة ، وضربٌ من التّهكم في كلامهم ... وقال بعض المحققين : إنّما ذكر لفظ (الإثابة) هاهنا في الغمّ ؛ لأنّ غمّهم وإن كان مكروهًا بالطّبع فهو ثواب من الله من وجه ؛ لأنّه كان سبب تهذيب نفوسهم الذي بيّنه تعالى : ﴿**لِكَيْلا تَأسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُم**﴾[١٤٧] وكلّ أمر يؤدي بالإنسان إلى أن يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب ، وفقد محبوب فياله من ثواب"[١٤٨] .

وبيّن المناسبة القرآنيّة في تكرار بعض الألفاظ القرآنيّة في السياقٍ نفسه نحو قوله تعالى : ﴿وَلا تَتَبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيْرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السّبِيْلِ﴾[١٤٩] ، فقال : "ما الفائدة في ترادف الوصفين ، وأحدهما يقتضي الآخر ؟ قيل : إنّ اقتضاء أحدهما الآخر من حيث المعنى ، وليس من شرط الخطاب أن يقتصر في الأوصاف على ما يقتضي وصفًا آخر دون ذلك الآخر . ألا ترى أنّك تقول :"حيّ ، سميع ، بصير" ، والسّمع والبصر يقتضي الحياة ، ثمّ ليس من شرط ذلك أن يكون ذكرة لغوًا"[١٥٠].

يتضح ممّا تقدم أنّ الراغب قد تنبّه إلى أنّ دلالة الألفاظ تختلف باختلاف التّراكيب الواردة فيها ، وطريقة صياغة الكلام ، فضلًا عمّا يحيط بالعمليّة التّخاطبيّة من ظروف مقاميّة ، أو مقاليّة تدعو إلى استعمال اللفظ بمعناه المعجمي تارة ، أو بالكناية ، والمجاز

تارة أخرى ؛ ليحقق المقال غرضه بما يتوافق مع ظروف المتلقي ، وآلياته .

ج. العلاقات الدلاليّة

تمثل العلاقات الدّلاليّة " حلقات وصل للمفاهيم التي تظهر في عالم النّص ، إذ تحمل كل حلقة نوعًا من التّعبيرات للمفهوم الذي ترتبط به"(١٥١) ، وهذا يدفع المتلقي إلى أن "يبني تمثيلًا للمعلومات التي يحتويها النّص ، والخاصيّة الأساسيّة لهذا التمثيل ... هي أن يدمج القضايا المفردة المعبّر عنها في النّص ، في كلّ أكبر ، وهذا جزء هامّ من عملية فهم النّص"(١٥٢) ، ويمكن بيان العلاقات الدّلاليّة في تفسير الرّاعب في المحورين الآتيين :

١ . علاقة العام بالخاص

٢ . علاقة المقابلة

١ . علاقة العام بالخاص

لقد تنبّه الرّاغب إلى أهمية هذه العلاقة الدّلاليّة ؛ لذا أفرد لها فصلًا في مقدمة تفسيره أسماه (في العموم والخصوص من جهة المعنى) ، وقد قسّم المعنى على ثلاثة أضرب(١٥٣) :

الأوّل : عام مطلق : وهو الجنس، نحو قولنا : الحيوان أو الحبوب .

الثّاني : خاص مطلق مثل زيد وعمرو ، وهذا الرّجل .

الثّالث : عام من وجه وخاص من وجه ، نحو الإنسان ، فإنّه ينظر له مرّة من جهة الحيوان ، ومرة من جهة المصداق نحو زيد ، وعمرو . ثمّ قال : "والعام إذا حُمل على الخاص صدق القول ... والخاص إذا حُمل على العام كذب ... فالمفسر إذا فسّر العام بالخاص فقصده أن يبيّن تخصيصه بالذكر ، ويذكر مثاله ؛ لأنّه لم يُرد أنّه هو هو لاغير ، وكثير ممّن لم يتدرب بالقوانين البرهانيّة إذا رأى عامًا مستعملًا في خاصين قدّر أنّ ذلك جارٍ مجرى الأسماء المشتركة فيجعله من بابها ، وعلى ذلك رأيت كثيرًا ممّن صنّفوا في نظائر القرآن ، فقالوا : الإثم : ارتكاب الذّنب ، والإثم : الكذب ، احتجاجًا بقوله : **﴿لا يَسْمَعُونَ فِيْهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيْمًا﴾**(١٥٤) ،

والإثم عام في المقال ، والفعال ، وإنّما خُصّ في هذا الموضع ؛ لأنّ السّماع ليس إلا في المقال على ذلك قال اللحياني : الخوف : القتال ، بقوله تعالى : **﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوْكُم﴾**(١٥٥) ، والقتل لقوله : **﴿وَإِذَا جَاءَهُم أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوْ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾**(١٥٦) ، والعلم لقوله : **﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾**(١٥٧) ، أي عَلِمَ ، وذلك من ظهور سوء التّصور بحيث لا يحتاج إلى تبيّن ، وأمّا الخاص : فتفسيره بالعام جائزٌ إذا قصد تبيين جنسه نحو : الحرباء دويبة ، والحرباء :حَيَوانٌ"(١٥٨).

وممّا يدخل في علاقة العام بالخاص عند الرّاغب أيضًا تقسيمه التأويل على نوعين(١٥٩) : مستكره ، ومنقاد ، فالمستكره : ما يستبشع إذا سُبر بالحجة ، ويُستقبح بالتّدليسات المزخرفة المزوجة ، ثمّ قسم ذلك على أربعة أضرب: الأوّل : أن يكون لفظًا عامًا فيخصص في بعض ما يدخل تحته نحو قوله تعالى : **﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِيْنَ﴾**(١٦٠) ، والثّاني أن يُلفق بين اثنين نحو قول من زعم أنّ الحيوانات كلّها مكلّفة مُحتجًا بقوله تعالى : **﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلا فِيْهَا نَذِيْرٌ﴾**(١٦١) ، وقد قال تعالى : **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾**(١٦٢) ، فدلّ بقوله : (أمم أمثالكم) أنّهم مكلّفون كما نحن مكلّفون ، الثّالث : ما استعين فيه بخبر مزور ، أو كالمزور ، كقوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**(١٦٣) ، فقد قيل: إنّه عنى بها الجارحة استدلًا بحديث موضوع ،والرّابع : ما يُستعان فيه باستعارات واشتقاقات بعيدة ، كقولهم : إنّما قصد بالبقر : إنّه إنسان يبقر عن أسرار العلوم ، وفي الهدهد : إنّه إنسان موصوف بجودة البحث والتّنقير (١٦٤). وجعل النّوع الثّاني في الذين لم يقووا في معرفة الخاص ، والعام .

يتضح ممّا تقدّم أنّ الرّاغب يجعل من أهم الأمور التي يجب على المفسر الإحاطة بها فهمه المقاصد القرآنيّة متى يُقصد بها التّخصيص ، ومتى يُقصد بها التبيين ؛ لأنّ ذلك هو المنطلق الرئيس في تبيين الوجوه القرآنية للألفاظ.

وأشار إلى أنّ القرآن الكريم خصص العلم بالأرض والسّماء في قوله تعالى : **﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِيْ الأَرضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾**(١٦٥) ، ولم يقل : هو عالم بكلّ شيء لغرض التهويل فقال :"لأنّ الوصف بأنّه (لا يخفى عليه شيء) أبلغ من قوله (يعلم) في الأصل ، وإن كان استعمال اللفظتين فيه تفيدان معنًى واحدًا ، وتخصيص الأرض والسّماء ؛ لكون ذكرهما أهول بالإضافة إلينا ، وفيه دلالة على كلّ شيء"(١٦٦) . وقد أيّد أبو حيّان ذلك ؛ لأنّ يرى أنّ المقصود هنا جميع العالم بالأرض والسّماء ، وقد خُصص العلم بهما ؛ لأنّهما أعظم ما نشاهده ، والتّصوير على ما شاء من الهيئات دالّ على كمال القدرة ، وبالعلم ، والقدرة يتم معنى القيوميّة ، إذ هو القائم بمصالح الخلق ومهماتهم(١٦٧) ، وهذا ما أكّده ابن عاشور بقوله : " قصد منه عموم أمكنة الأشياء ، فالمراد من الأرض الكرة الأرضيّة : بما فيها من بحار ، والمراد بالسّماء جنس السّماوات : وهي العوالم المتباعدة عن الأرض . وابتدئ في الذّكر بالأرض ؛ ليتسنى التّدرج في العطف إلى الأبعد في الحكم ؛ لأنّ أشياء الأرض يعلم كثيرًا منها كثيرٌ من النّاس ، أمّا أشياء السّماء فلا يعلم أحد بعضها فضلًا عن علم جميعها"(١٦٨).

وعلل تخصيص اليد بفعل الآثام دون غيرها من الجوارح في قوله تعالى : **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيْكُم وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيْدِ﴾**(١٦٩) بقوله : "إن قيل : لِمَ خصّ اليد ، وفيما ذكره عنهم من أفعال بغيرها من الجوارح ؟ قيل : لمّا كانت اليد هي الآلة الصّانعة المختصة بالإنسان ، فإنّه لما كفى كلّ واحد من الحيوانات بما احتاج إليه من

الأسلحة والملابس ، وسخّره لاستعمالها في الدّفع عن نفسه ، وخلق الإنسان عاريًا من كلّ ذلك ، جعل له الرؤية ، واليد الصّانعة ؛ ليعلم برؤيته ، وليعمل بيده فوق ما أعطى الحيوانات ، فلمّا كانت لليد هذه الخصوصيّة صارت تخص بإضافة عمل الجملة إليها"[١٧٠] . وقيل : إنّما نُسب ما قدّموه من المعاصي القوليّة والفعليّة والاعتقاديّة إلى الأيدي على سبيل التّغليب ؛ لأنّ الأيدي تزاول أكثر الأعمال ، فكأنّ كلّ عمل واقع بها[١٧١]. ويرى الرّاغب أنّ الآية المباركة إنّما خصّت لفظ (ظلّام) الذي هو للتكثير ، على خلاف ما جاء في سورة النّساء : **﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾**[١٧٢] ؛الذي هو يقتضي نفي الظلم قليله وكثيره ؛ لأنّه إنّما خصّ ذلك لما كان في الدّنيا قد يُظن بمن يعذب غيره عذابًا شديدًا أنّه ضلّام قبل أن يفحص عن حال جُرمه ، بيّن تعالى ذنبهم ، وإنّه إذا عاقبهم عقوبة شديدة فليس بظلّام لهم[١٧٣] .

وبيّن الاستعمال القرآني في تقديم الأعم على الأخص في قوله تعالى : **﴿وَتَرَى كَثِيْرًا مِنْهُم يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ والعُدْوَانِ وأَكْلِهِمُ السُّحتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٧٤] فقال: "الإثم أعم من العدوان ، والعدوان أخص منه ، وأعم من أكل السّحت ، وأكل السّحت أخص منهما ؛ لأنّ كُلّ أكل السّحت عدوان ، وليس كلّ عدوان يكون أكلًا للسّحت"[١٧٥].

ووجه تقديم الأخص على الأعم في قوله تعالى : : **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرًا﴾**[١٧٦] بقوله : "إن قيل كيف جمع بين الظلم والعدوان ، وقدّم العدوان مع كونه أخص من الظلم ، وحكم العام والخاص إذا اجتمعا أن يُقدّم العام على الخاص ... قيل : في ذلك جوابان : الأوّل : أن يكون العدوان إشارة إلى الظلم الذي يتجاوزه الإنسان

إلى غيره ، وعنى بالظلم ظلم النّفس ... والثّاني : أنّه قدّم العدوان الذي هو أخص من الظلم تنبيهًا أنّ من ارتكب صغيرة ، ولم يقمع نفسه عنها جرّته إلى ما هو أعظم منها ، فنبّه أنّ حقّ الأنسان أن يحفظ نفسه عن الصّغيرة خشية أن يقع فيما هو أعظم منها"[١٧٧] .

وتأسيسًا على ما سبق نرى أنّ العلاقة بين العام والخاص من العلاقات الدّلاليّة المهمة التي نبّه الرّاغب إليها ، وجعلها من المبادئ الرئيسة التي يجب على المفسر الإحاطة بها بوساطة فهم الظروف المحيطة بالنص القرآني ، والمقاصد التي تتضمنها الآيات ، والمعرفة بأسباب النّزول ، إذ لا يمكن معرفة المراد بالآية دون فهم مفرداتها ، ومعرفة مدى حملها على الإطلاق أو التقييد بحسب ما يتوافر من أدلة ، وروايات يمكن بوساطتها الحكم على مجيء اللفظ بمعناه العام أو الخاص .

٢ . علاقة المقابلة

وهي علاقة ذات ترابط مفهوميّ ، تنشأ بين مضمون الوحدة النّصيّة التالية مقابلًا لمضمون الوحدة النّصية السّابقة[١٧٨] ، وقد اختلف علماء النّص في تسميتها ، فمنهم من أطلق عليها (التّقابل) ، ومنهم من أسماها (التّعارض)[١٧٩] .

وقد ذكر الرّاغب أن التقابل يكون على نوعين : لفظي ، ومعنوي ، وبيّن أنّ تقابل المعنى هو أفضلها عند أصحاب المعاني[١٨٠] ، وعرض ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾[١٨١] ، إذ قال

: "التّقابل الصّحيح أن يكون المذكور في الثانية عكس المذكور في الأولى ، وليس قوله : ﴿**فَفِي رَحْمةِ اللهِ هُم فِيْهَا خَالِدُونَ**﴾ عكسًا لقوله : ﴿**أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُم**﴾ ، قيل مراعاة التّقابل على ضربين : تقابل اللفظ ، وتقابل المعنى ، وهو أفضلهما عند أصحاب المعاني ، فالتّقابل حاصل من حيث المعنى ، وعُدل عن لفظ الخبر في قوله : ﴿**أَكَفَرْتُم**﴾، وقوله: ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ**﴾[١٨٢] ، إشارة إلى ما يقال لهم ، ونبّه أنّهم يُقابلون مع العقوبة بالتّبكيت ، وقد قيل : التّبكيت أعظم العقوبتين ، وأن يُقال لهم : (ذوقوا) ، وذلك دلالة على مبالغة الغضب عليهم"[١٨٣] .

إنّ الآيتين تشيران إلى التّفاوت ما بين التّقسيمين ؛ لأنّ هناك جمع لمن اسودّت وجوههم بين التّعنيف بالقول والعذاب ، وبين من ابيضّت وجوههم فجعلهم مستقرين في الرحمة[١٨٤] ، "فالرحمة ظرف لهم ، وهي شاملتهم ، ولمّا أخبر تعالى أنّهم مستقرون في رحمة الله بيّن أنّ ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لا زوال منه ، ولا انتقال ، وأشار بلفظ الرحمة إلى سابق عنايته بهم ، وأنّ العبد وإن كثرت طاعته لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ... وأضاف الرحمة هنا إليه ، ولم يضف العذاب إلى نفسه بل قال : ﴿**فَذُوقُوا العَذَابَ**﴾ ، ولمّا ذكر العذاب علله بفعلهم ، ولم ينص هنا على سبب كونهم في الرحمة"[١٨٥] .

وقد أشار إلى التّقابل الحاصل في قوله تعالى : ﴿**الذينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ والعَافِيْنَ عَنْ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾[١٨٦] بقوله : " السّراء والضّراء إشارة إلى حالي السّعة والضّيق ، كاليسر والعسر ، وإلى حالي السّرور والاغتمام ، وقد فُسّر بهما ، واللفظ يتناولهما ، فإنّ السّراء يقابلها الغم ، الضّرّاء يُقابلها النّفع ، فأخذ اللفظان المختلفا التّقابل ؛ ليدلّ كلّ واحد على مقابله ، وهذا من دقائق إيجازات البلاغة ، فمن نظر إلى معنى السّرّاء قال : السّرور والغم ،

ومن نظر إلى معنى الضّرّاء ، قال : النّفع والضّر "[١٨٧] .

وقد أشار الرّاغب إلى أنّ هذه العلاقة الدّلاليّة هي ضرب من فنون البلاغة ، وهذا الضرب يُسمّى بالاحتباك ، وهو من المحسنات البديعيّة ، وقد عرّفه الجرجاني بقوله : "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، ويُحذف من كلّ واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ، كقوله[١٨٨]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

أي علفتها تبْنًا وسقيتها ماءً باردًا"[١٨٩] .

وعرض النّكات البلاغيّة في المقابلة الواردة في قوله تعالى : **﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ﴾**[١٩٠] ، إذ قُدِّمَ فيها (الضّر) على (النّفع) ، وخُتمت بقوله تعالى: **﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ﴾** ، وكان حقّ المقابلة أن يقال : والله هو الضّار النّافع ، وإنّما قال : **﴿لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾** ؛ لأنّه لمّا كانت الإشارة على ثلاثة أضرب : عن مالك الضّر والنّفع بوجه ، ومالك بعض ذلك بتمليك كالإنسان ، ومالك لهما لا تمليك وهو الله تعالى ؛ لذا قال المسلمون : لا يملك أحدٌ شيئًا غيرُ الله ، وقالوا : الأشياء في يد النّاس عارية مستردة . وأمّا تقديم الضّر على النّفع ؛ فلأنّ الإنسان يخدم غيره إمّا لدفع الضّرر ، أو لجر منفع ، والنّاس يُراعون دفع الضّرر قبل جرّ النّفع ؛ ولذلك كان الاحتراز من المضارة كلّها واجبًا ، وليس طلب المنافع كلّها واجبًا ؛ فلذلك قُدّم هنا الضرر[١٩١] ، ثمّ قال : "فإن قيل : فقد قاله : **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إلّا مَا شَاءَ اللهُ﴾**[١٩٢] ، فقد ذكر النّفع ، قيل : تقدّم النّفع في هذا المكان أولى ؛ لأنّه لمّا ذكر تحريهم عن أنفسهم فيما يجرون لها ، والإنسان يتحرّى لنفسه النّفع لا الضرّ ، بيّن أنّهم لا يملكون ما يحبون لأنفسهم ، بل لا يملكون أيضًا في حقيقة الضّر فضلًا عن النّفع . وأمّا إتباعه بقوله : **﴿وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ﴾** فهو أنّه لمّا لم ينكروا أنّ الله

مالك الضّر والنّفع ، ولا أنّه قادر على مجازاة من استحق المجازاة ، بل أشركوا بينه وبين غيره بما اقتضى معنى ملكه للضّر والنّفع، وقدرته على المجازاة وذكر أنّه هو المجازي ... وإدخال هو في قوله : ﴿إِنَّ اللهُ هُوَ﴾ اقتضى أنّ هذا الحكم خاص له لا يشاركه فيه غيره ، صار مقتضى الكلام أنّه يملك النّفع والضّر ، وأنّ يُجازي كلّ أحد باستحقاقه"[١٩٣] .

يتضح ممّا تقدم أنّ الرّاغب أكّد على الجانب الدّلالي والبلاغي في أغلب الآيات القرآنيّة التي تضمنت المقابلة اللفظيّة ؛ لأنّه يرى أن المقابلة المعنويّة هي الغاية الأساس التي يمكن بوساطتها إيضاح دلالة الأسلوب ووظيفته في السّياق القرآني .

الخلاصة :

١. كان الرّاغب يقرّ بوحدة النص القرآني في توجيهاته وتفسيراته ؛ لذا كان يستدلّ في تفسير الآية وتوجيهها بالآيات التي تتفق معها في الدّلالة ، أو التّركيب على اختلاف مواقعها في النّص القرآني .

٢. اكتفى في كثير من المواضع ببيان الإحالة معتمدًا على سياق النّص داخل السورة الواحدة دون الرجوع إلى السّياق القرآني العام ، وسبب ذلك يعود إلى أمرين: الأوّل : هو وضوح الدّلالة في الآية ، والثّاني : إيمانه بتكامل الدّلالة في النص القرآني على مستوى السورة الواحدة تارة ، وعلى مستوى أكثر من سورة تارة أخرى .

٤. لم ينسق وراء الصّناعة النّحويّة فيصطدم مع المعاني القرآنيّة ، بل كان يعالج النّحو من النّاحية التي تخدم تفسير القرآن ، وتبرز معانيه ، فكانت جميع الإحالات التي ذكرها وسائل ربط تسهم في ربط أجزاء النص القرآني على مستوى السورة الواحدة ، أو على مستوى القرآن الكريم بجميع سوره ، وآياته .

٥. بيّن أثر الربط في تماسك النصوص القرآنيّة ، وقد أكّد على النّصوص القرآنيّة التي يحتاج تحديد الربط فيها إلى إعمال الفكر

والتّأمل ؛ لبيان تعلق النّصوص مع بعضها في السياقات القرآنيّة العامة ، والخاصة .

٦. حكّم السّياق ، وظروف المقال للتمييز بين النصّوص التي ترتبط فيما بينها برابط دلالي ، وهذا ما أكّدت عليه الدّراسات اللسانيّة الحديثة .

٧. أكّد على الجانب الدّلالي والبلاغي في أغلب الآيات القرآنيّة التي تضمنت المقابلة اللفظيّة ؛ لأنّه يرى أن المقابلة المعنويّة هي الغاية الأساس التي يمكن بوساطتها إيضاح دلالة الأسلوب ووظيفته في السّياق القرآني .

هوامش البحث

١- ينظر أصول تحليل الخطاب : ١/ ٤١.
٢- ينظر العين ، مادة (نصص) ، ٧/ ٨٦.
٣- لسانيات النص : ١٩، وينظر علم النص دراسة جماليّة نقدية ، ١٠٢.
٤- ينظر البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيات النّصيّة، ٢٢.
٥- ينظر نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٦.
٦- ينظر علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات :١١٦.
٧- المصدر نفسه : ١١٦.
٨- ينظر علم لغة النّص النّظرية والتّطبيق : ١.
٩- ينظر المصدر نفسه : ٥.
١٠- ينظر : مدخل إلى علم النّص ، ٣٥ – ٦٠، أسلوب القرآن بيت نحو الجملة ونحو النّص : ٤٩.
١١- ينظر نحو النّص بين الأصالة والحداثة : ٤٠.
١٢- ينظر : التّأنيث في اللغة العربيّة ، ٢٥٧ ، نحو النّص والمعايير النّصيّة دراسة في المفهوم والإجراءات ،١.
١٣- ينظر أسلوب القرآن بين نحو الجملة ونحو النّص : ٤٩.
١٤- ينظر مبادئ في اللسانيات : ٦٧٧.
١٥- ينظر أثر النحو في تماسك النّص ، ٥٤.
١٦- ينظر لسانيات النص (النظرية والتطبيق) ، ١٥.
١٧- ينظر مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه : ٨٢.
١٨ – ينظر النّص والخطاب والإجراء : ١٠٣.
١٩- ينظر أصول تحليل الخطاب : ١٢٤/١ .
٢٠- ينظر لسانيات النص : ٥.
٢١- ينظر علم لغة النص النظريّة والتّطبيق : ١١٩.
٢٢- النص والخطاب والإجراء ، ١٧٢.
٢٣- تحليل الخطاب : ٣٦.
٢٤- علم لغة النّص (نحو آفاق جديدة) ، ٢١١.
٢٥- ينظر نسيج النص : ١١٩.
٢٦- سورة البقرة ، الآية (٤٥).
٢٧- سورة العنكبوت ، الآية (٤٥) .
٢٨- سورة الجمعة ، الآية (١١).
٢٩- سورة التوبة ، الآية (٣٤).
٣٠- تفسير الرّاغب : ١٧٧-١٧٨.
٣١- البحر المحيط :١/ ٣٤١.
٣٢- ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٢٧/١ ، البحر المحيط ، ٣٤١/١، الدّر المصون : ٣٣٠-٣٣١،
٣٣- ينظر البحر المحيط : ٣٤١/١.
٣٤- سورة المائدة ، الآية (٨).
٣٥- سورة التوبة ، الآية (٣٤).

٣٦- سورة النّساء ، الآية (٥).
٣٧- ينظر تفسير الرّاغب : ٢/ ١٠٩٩.
٣٨- ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٥/ ٢٨ ، البحر المحيط : ٣/ ١٧٧.
٣٩- سورة النّساء ، الآية (٢٩).
٤٠- تفسير الرّاعب : ٢/ ١١٠٠.
٤١- سورة المائدة ، الآية (٨).
٤٢- ينظر تفسير التحرير والتّنوير :٣٥/٦.
٤٣- سورة ص ، الآية(٣٢).
٤٤- سورة النّمل ، الآية (٥٩).
٤٥- ينظر تفسير الرّاغب : ٢٩٤.
٤٦- ينظر مجمع البيان : ٢ /٢١٢.
٤٧- سورة المائدة ، الآية (٤٤).
٤٨- سورة البقرة ، الآية (١٣١).
٤٩- سورة لقمان ، الآية (٢٢).
٥٠- سورة الأعراف ، الآية (١٥٦).
٥١- تفسير الرّاغب : ٣٦٠-٣٦١.
٥٢- ينظر مجمع البيان :٢٤٨/٢.
٥٣- ينظر المصدر نفسه : ٢ /٢٤٨.
٥٤- سورة البقرة ، الآية(٢).
٥٥- سورة الأنفال ، الآية (١٣٢).
٥٦- تفسير الرّاغب : ٧٧.
٥٧- ينظر المصدر نفسه : ٧٧.
٥٨- ينظر المصدر نفسه : ٢٤٨/١.
٥٩- ينظر نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة ، ١٤٣.
٦٠- اللغة العربيّة معناها ومبناها ، ٢١٣.
٦١- النّص والخطاب والإجراء ٣٤٦.
٦٢- ينظر تفسير الرّاغب : ١ / ٢٦٤.
٦٣-سورة آل عمران ، الآية (٢٨).
٦٤- سورة الزّمر ، الآية (٩).
٦٥- سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .
٦٦- سورة المائدة ، الآية (٣٥).
٦٧- تفسير الرّاغب : ٥١٢/١-٥١٣.
٦٨- سورة آل عمران ، الآية (٢٩).
٦٩- سورة النّساء ، الآية (٨١).
٧٠- تفسير الراغب : ٥١٤/١.
٧١- سورة آل عمران ، الآيتان (٤٨-٤٩).
٧٢- تفسير الرّاغب : ٥٧٤/١.
٧٣- ينظر المصدر نفسه : ٥٧٢/١.
٧٤- ينظر البحر المحيط : ٢/ ٤٨٥.
٧٥- ينظر المصدر نفسه : ٢ / ٤٨٦
٧٦- سورة آل عمران ، الآية(١٤٤).
٧٧- تفسير الرّاغب : ٢/ ٨٩٢.
٧٨- ينظر مجمع البيان : ٢ / ٦٥٠.
٧٩- سورة البقرة (١٧-٢٠) .
٨٠- سورة آل عمران ، الآية (١١٧).
٨١- تفسير الراغب : ١٠٨- ١٠٩.
(٨٢). الكشاف: ١/ ١١٥.
٨٣- ينظر : شرح الكافية : ٣٨٩/٤ ، معاني النحو : ٢٣٧/٣.
٨٤- سورة آل عمران ، الآية ، (٧٩).
٨٥- تفسير الراغب : ٦٧٢/١.
٨٦- سورة المائدة ، الآية (٩٣) .
٨٧- تفسير الرّاغب : ٤٤٢.
٨٨- سورة النّساء ، الآية (١٣٧) .

٨٩- تفسير الرّاغب : ١٩٨.
٩٠- نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي) : ٩٠.
٩١- انسجام النّص الشّعري عند حسين زيدان ، ١٤.
٩٢- ينظر لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النّص) : ٥-٦.
٩٣- ينظر علم لغة النّص(النظريّة والتّطبيق) : ١٨٤.
٩٤- منهج السّياق في فهم النّص : ٤٣.
٩٥- الدّلالة والنحو :١٩١.
٩٦- ينظر الدلالة السّياقيّة عند اللغويين : ٥٣.
٩٧- ينظر قرينة التضام في التّراث اللغوي العربي بين النّحاة والبلاغيين : ٢١٩.
٩٨- تفسير الرّاغب : ٨ .
٩٩- المصدر نفسه : ٨.
١٠٠- سورة البقرة ، الآية (٢٨).
١٠١- تفسير الرّاغب : ١٣٤.
١٠٢- سورة البقرة ، الآية(٢٢).
١٠٣- سورة المؤمنون ، الآية (١١٧).
١٠٤- سورة يونس ، الاية (٣١).
١٠٥- تفسير الرّاغب : ١١٤- ١١٥.
١٠٦- سورة البقرة ، الآية (٣١).
١٠٧- تفسير الرّاغب : ١٤٦-١٤٧.
١٠٨- سورة الشّورى ، الآية (١١).
١٠٩- سورة البقرة ، الآية(١١٥).
١١٠- سورة الأعراف ، الآية (١٢).
١١١- تفسير الرّاغب :١٦.
١١٢- سورة الصّافات ، الآية (٢٧).
١١٣- سورة المؤمنون ، الآية (١٠١).
١١٤- سورة الأنعام ، الآية(٢٣).
١١٥- سورة النّساء ، الآية (٤٢).
١١٦- سورة المرسلات ، الآية (٣٥).
١١٧- سورة الصّافات ، الآية (٢٧).
١١٨- تفسير الرّاغب : ٢٤.
١١٩- ينظر نظرية السّياق القرآني : ١٥.
١٢٠- ينظر تفسير الرّاغب :٢٦.
١٢١- ينظر جماليات الخطاب في النص القرآني : ٢١٩.
١٢٢- البرهان :١/ ٤١.
١٢٣- ينظر نظرية السّياق القرآني (دراسة تأصيليّة دلاليّة نقديّة) : ٤٠.
١٢٤- المصدر نفسه : ٤٠.
١٢٥- سورة ال عمران ، الآية (١٥٤) .
١٢٦- تفسير الرّاغب : ٢ / ٩٣٨.
١٢٧- سورة الحجرات ، الآية (١٤).
١٢٨- سورة الحج ، الآية (٣٢) .
١٢٩- سورة الصّف ، الآية (٥).
١٣٠- سورة العنكبوت ، الآية (٤٩).
١٣١- سورة الزّمر ، الآية (٢٢).
١٣٢- تفسير الرّاغب : ٢ / ٩٣٨.
١٣٣- سورة يونس ، الآية (٦٢).
١٣٤- سورة الرّعد ، الآية (٢١).
١٣٥- سورة الإسراء ، الآية (٥٧) .
١٣٦- سورة فصلت ، الآية (٣٠) .

١٣٧- تفسير الرّاغب :١٦٤-١٦٥.
١٣٨- سورة المنافقون ، الآية(١) .
١٣٩- تفسير الرّاغب : ٢٤٩ .
١٤٠- سورة الصّافات ، الآية (٢٣).
١٤١- سورة الحج ، الآية (٤) .،
١٤٢- ديوان عمرو بن معد يكرب : ١٤٩.
١٤٣- تفسير الرّاغب : ٦٠.
١٤٤- سورة الانشقاق ، الآية (٢٤) .
١٤٥- تفسير الرّاغب : ١٢٢.
١٤٦- سورة آل عمران ، الآية (١٥٣).
١٤٧- سورة الحديد ، الآية (٢٣) .
١٤٨- تفسير الرّاغب : ٩٢٤/٢.
١٤٩- سورة المائدة ، الآية (٧٧).
١٥٠- تفسير الرّاغب : ٦٨.
١٥١- التّرابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب : ٧٥.
١٥٢- علم لغة النّص (النظريّة والتطبيق) : ١٨٥.
١٥٣- ينظر تفسير الرّاغب : ١٩.
١٥٤- سورة الواقعة ، الآية (٢٥).
١٥٥- سورة ، الأحزاب ، الآية (١٩).
١٥٦- سورة النّساء ، الآية (٨٣).
١٥٧- سورة البقرة ، الآية (١٨٢).
١٥٨- تفسير الرّاغب : ١٩.
١٥٩- ينظر تفسير الرّاغب : ١١.
١٦٠- سورة التّحريم ، الآية (٤).
١٦١- سورة فاطر ، الآية (٢٤).
١٦٢- سورة الأنعام ، الآية (٣٨).
١٦٣- سورة القلم ، الآية (٤٢).
١٦٤- ينظر تفسير الرّاغب : ١١-١٢.
١٦٥- سورة آل عمران ، الآية (٥).
١٦٦- تفسير الرّاغب : ١/ ٤١٢.
١٦٧- ينظر البحر المحيط : ٢ / ٣٩٥.
١٦٨- التحرير والتّنوير : ٣ / ١٥١.
١٦٩- سورة آل عمران ، الآية (١٨٢).
١٧٠- تفسير الرّاغب : ٢/ ١٠١٨-١٠١٩.
١٧١- ينظر البحر المحيط : ٣/ ١٣٦.
١٧٢- سورة النّساء ، الآية (٤٠).
١٧٣- ينظر تفسير الرّاغب : ٢ / ١٠٢٠.
١٧٤- سورة المائدة ، الآية (٦٢).
١٧٥- تفسير الرّاغب : ٣٩٠.
١٧٦- سورة النّساء ، الآية (٣٠).
١٧٧- تفسير الرّاغب : ٢/ ١٢٠٧.
١٧٨- ينظر العلاقات النّصيّة في لغة القرآن الكريم : ٢٥٥.
١٧٩- ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام النّص : ٢٥.
١٨٠- ينظر تفسير الرّاغب : ١ / ٧٨٦.
١٨١- سورة آل عمران ،الآيتان (١٠٦-١٠٧).
١٨٢- سورة آل عمران ، الآية (١٠٦).
١٨٣- تفسير الرّاغب : ١/ ٧٨٦-٧٨٧.
١٨٤- ينظر : البحر المحيط :٣/ ٢٧-٢٨.
١٨٥- المصدر نفسه : ٣/ ٢٨.
١٨٦- سورة آل عمران ، الآية (١٣٤).
١٨٧- تفسير الرّاغب : ٢/ ٨٥٩.

١٨٨- ينظر خزانة الأدب : ٣/ ١٣٣.
١٨٩- التّعريفات : ١٠.
١٩٠- سورة المائدة ، الآية (٧٦).
١٩١- ينظر تفسير الرّاغب : ٤١٢-٤١٣.
١٩٢- سورة الأعراف ، الآية (١٨٨).
١٩٣- تفسير الرّاغب : ٤١٤.

مصادر البحث

- القرآن الكريم .
- أثر النحو في تماسك النّص ، عابد بوهادي ، دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ، مجلد (٤٠) ، عدد(١)، ٢٠١٣م.
- اجتهادات لغويّة ، تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).
- أسلوب القرآن الكريم بين نحو الجملة ونحو النّص ، د. إبراهيم عبدالله سليمان الصّغير ، مجلة الآداب ، العدد الثّاني.
- أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة ، محمد الشاوش ، المؤسسة العربيّة للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م .
- أقسام الكلام العربي بين الشّكل والوظيفة ، فاضل مصطفى السّاقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
- انسجام النّص الشّعري عند حسين زيدان ، حوريّة رزوقي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة قاصدي مرياح-ورقلة- ، ٢٠٠٩-٢٠١٠.
- البحر المحيط ، محمد بن يوسف الأندلسي الملقب بأبي حيّان ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلميّة (١٩٩٣).
- البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيات النّصيّة ،جميل عبد المجيد ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب .
- البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدّين محمد بن بهادر الزركشي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٢، ٢٠١١م.
- التّأنيث في اللغة العربيّة، د.إبراهيم بركات ، ط١، دار الوفاء، المنصورة (١٩٨٨م).
- تحليل الخطاب ، ج.ب.براون، ج.بول ، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطي ، د.محمد التريكي ، جامعة الملك سعود (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
- التّرابط النّصي في ضوء التّحليل اللساني للخطاب ، خليل ياسر البطاشي ، دار جرير ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّاني والخطّابي ، وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها محمد خلف الله أحمد ، ومحمد

زغلول سلاّم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣، ١٩٧٦.

• تفسير الراغب ، الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني ، دراسة وتحقيق عادل بن علي الشّدّي ، مدار الوطن للنّشر ، السّعوديّة ، الرّياض ، الطّبعة الثّانية (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

• الجامع لأحكام القرآن ، محمد الأنصاري القرطبي ، طبعة مصوّرة عن طبعة الهيئة المصريّة العامة للكتاب (د.ت).

• جماليات الخطاب في النّص القرآني قراءة تحليليّة في مظاهر الرؤية وآليات التكوين ، الدكتور لطفي فكري محمد الجودي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٤م.

• الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي ، تحقيق د.أحمد محمد االخراط ، دار القلم ، دمشق ، (د.ت).

• الدّلالة والنّحو ، الدّكتور صلاح الدّين صالح حسنين ، مكتبة الآداب ط١ (د.ت).

• العلاقات النّصيّة في لغة القرآن الكريم ، د. أحمد عزّت يونس ، دار الآفاق العربيّة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م.

• علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات ، د.سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر –لونجمان ، ١٨٨٧م.

• علم لغة النص (النظريّة والتطبيق) ، د.عزة شبل ، مكتبة الآداب ، ط١، ٢٠٠٧.

• علم لغة النّص نحو آفاق جديدة ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة د.سعيد بحيري ، مكتبة زهراء الشّرق ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧م.

• قرينة التضام في التّراث اللغوي العربي بين النّحاة والبلاغيين ، أ.د.بن علي سليمان–بودانة طه الأمين ، مجلة الباحث ، المجلد (١٠)، العدد(٢).

• قرينة التضام في النّحو العربي دراسة نظريّة في ضوء المنهج الوصفي ، أ.د.بن علي سليمان–بودانة طه الأمين ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد ١٢، العدد(١)،٢٠٢٠م.

• كتاب التعريفات ، السّيّد الشّريف علي بن محمّد الجرجاني ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

• كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د.مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السّامرائي ، مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان (١٤٠٨- ١٩٨٤م).

• الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل ، الزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق النهدي ، دار إحياء

التّراث ، ومؤسسة التأريخ العربي ، لبنان ط٢ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

- لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطّابي ، المركز الثّقافي العربي ، المغرب ، ط٢، ٢٠٠٦م.
- لسانيات النّص النظريّة والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا : ، لينـدة قيّاس ،مكتبة الآداب ، القاهرة(١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .
- اللغة العربيّة معناها ومبناها ، تمّام حسّان ، دار الثّقافة ، المغرب ، ١٩٩٧م.
- مدخل إلى علم النّص ، زتسيسلاف واورزيناك ، ترجمة سعيد بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، د. محمد الأخضر الصّبيحي ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربيّة للعلوم ، ناشرون ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م.
- معاني النّحو، الدّكتور فاضل السّامرائي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- منهج السّياق في فهم النّص ، د.عبد الرحمن بودرع ، مكتبة الثّقافة ، الدّار البيضاء ، ٢٠٠٨م.
- نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي) ، د.أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م.
- نحو النّص و المعايير النّصيّة دراسة في المفهوم والإجراءات ، أ.م.د.فليح خضير ، أ.د.الاء عبد نعيم، مجلة لارك عدد(٣٠) ، ٢٠١٨.
- نسيج النّص (بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصًا) ، الأزهر الزناد ، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب ، ، ط١ ، ١٩٩٣م.
- النّص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة د.تمّام حسّان، عالم الكتب القاهرة ، ط١، ١٩٩٨م.
- نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة ، مصطفى حميدة ، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر لونجمان ، ط١، ١٩٩٧م.
- نظرية السّياق القرآني دراسة تأصيليّة دلاليّة نقديّة ، الدّكتور المثنّى عبد الفتّاح محمود ، دار وائل للنّشر ، ط١ ، ٢٠٠٨م.